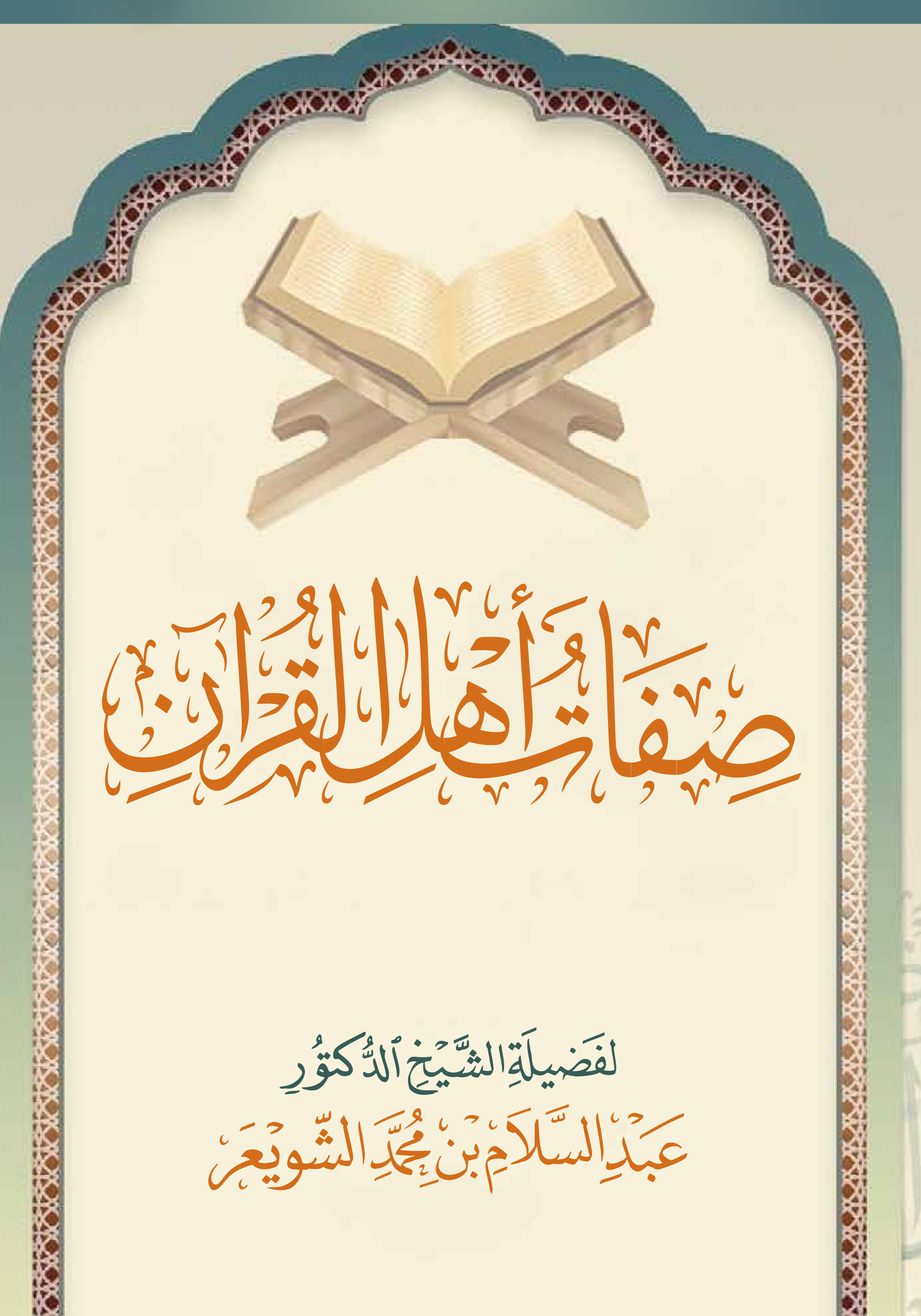


صفات أهل القرآن

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ



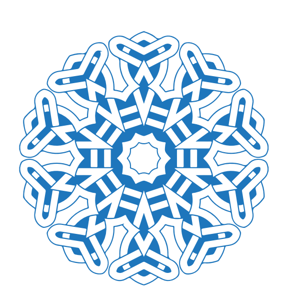


00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ
١٠

صفات أهل القرآن



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليما كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيها الإخوة- فإن حديثنا اليوم، حديث عن أمر عظيمٍ، ألا وهو حديثٌ عن كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولا شك أن الحديث يعظم بعظم المُتحدَّث عنه؛ وهو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وقد جاء في بعض زيادات الحديث أن الثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وَإِنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ**».

ولذلك قد روى الترمذي من حديث الحارث الأعور عن **علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَنْ بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الجَّدُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَا تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ إِلَّا قَسَمَهُ اللهُ، لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِ**».

هذا القرآن العظيم أمره عجيبٌ وشأنه جليلٌ، ولذلك فإنّ من حمله، ونال قسطًا منه، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يُنيله أجرًا عظيمًا، ويُنزله منزلةً رفيعةً، فمّما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك -وقد جاء عنه كثيرٌ- ما ثبت في صحيح مسلم من حديث **عثمان بن عفان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» ، وهذا من النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليلٌ قاطعٌ، وجزمٌ تامٌ لازمٌ بأنّ خير النّاس على

الإطلاق، وأفضلهم بلا اقتراب من أحدٍ إليه في الدرجة **هو:** من كان حاملًا لهذا القرآن العظيم، وكان عارفًا بحقوقه، وكان قد أدى الواجبات التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ فيه، وانكَّف عن المنهيات فيه، إنّ من يحمل القرآن يوصف بنعتٍ أعظم من ذلك، فأعظم من كونه من خير الناس؛ يوصف نعتا أعظم **وهو:** أن **صاحب القرآن وحامله هو من أهل الله وخاصته.**

ولذلك ثبت عن النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أنسٍ عند ابن ماجة وإسناده لا بأس به أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتِهِ**»، وهذه الإضافة إضافة تشريفٍ، يتبعها ما يتبعها من الأجر العظيم عنده جَلَّ وَعَلَا، والمنزلة الرفيعة السامية عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك ثبت عن النبّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَرَتِّلْ**» -وفي رواية في خارج الصحيح- «**اقْرَأْ وَارْتَقِي فِي الدَّرَجَاتِ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ فِي الجَنَّةِ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»، فكلّما كان المرء من أهل القرآن أكثر، كلما كان ذلك دليلًا على قربه من الله جَلَّ وَعَلَا، وعلوِّ درجته في الجنة ورفعة منزلته فيها.

أهل القرآن قد حُمِّلوا حِملا عظيما، وأوتوا فضلًا عميمًا، ولذلك ثبت عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «مَنْ جَمَعَ القُرْآنَ فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، لَقَدْ أُدرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ كَتْفَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ».

هذا -أيها الإخوة- غيظٌ من فيضٍ، وبُلالةٌ من خير عميمٍ جعله الله عَزَّوَجَلَّ لأهل القرآن، ولكن لنعلم قبل أن نتكلم عن **صفات أهل القرآن**، أنه ليس كل من حَمِلَ القرآن ولا كل من تلا آياتٍ منه، وتعلم سورًا فإنه ينال هذا الفضل العظيم، إذ قد بين لنا النّبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن **الناس في القرآن ثلاثة أطراف**: طرفان ووسط؛ غالٍ وجافٍ وحاملٍ للقرآن غير غالٍ ولا جافٍ، فقد ثبت عند أبي داود من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ، وَإِكْرَامُ حَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَلَا الجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامِ السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»، فبيّن النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنّ الذي يستحقّ الإكرام في الدنيا من المؤمنين، وأن الذي يكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ في الدّنيا والآخرة؛ إنما هو: **حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه**.

وهذا يدّلنا على أنّ أناسًا كثيرين يحملون آياتٍ من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ويحفظونها، وهم منعوتون إمّا بكونهم غالين فيه، وإما منعوتين بأنّهم جافون عنه، ولا يعرفُ الوسط من ذلك ولا الحق؛ الذين هم أهل الله وخاصته الذين هم خير الناس، إلا بمعرفة صفات أهل القرآن؛ التي إذا امتثلوا هذه الصفات في أفعال قلوبهم، وأفعال جوارحهم، وفي لسانهم فإنهم حينئذ يكونوا أهل القرآن.

إذن: عرفنا قبل قليل **المسألة الأولى وهي**: أنّه ليس كل من تعلم حرفا من هذا الكتاب، أو حوى بين كتفيه وجنبيه آياتٍ منه حفظًا، وضبطًا فإنّه يكون من أهله على الحقيقة.

❁ **مسألة أخرى لابد ان ننتبه لها**: أنه معلوم أنَّ الجنّة درجاتٌ، كما أنَّ النّار دركاتٌ، فكذلك هذه الأوصاف كالإيمان والتقوى والبِّر، وغير ذلك من الأوصاف. **ومنها**:

كون المرء من أهل القرآن أنه درجات فليست الدرجات فيه درجتين فقط؛ إثباتٌ ونفيٌ، وإنّما هي درجات متعددة، يختلف الناس فيها بحسب زيادتهم وضبطهم، والإتيان بصفات أهل القرآن، التي من اتصف بها وامتثل، فإنه يكون من أهل الله وخاصته الذين هم

خير الناس.

هذه الصّــفات -أيها الأخوة- بيّن لنا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّها توجد في بعض الناس كاملةً، وتوجد في بعض الناس طرفًا، بســبب نقص في ذلك الرّجل، وقد ثبت عن النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصــحيح من حديث أبي موســى الأشــعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمَسْــلِمُ الذِّي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبُ، وَالمُنَافِقُ الذِّي يَقْرَأُ القرْآنَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَالمُؤْمِنُ الذِّي لَا يَقْرَأُ القَرْآنَ، مَثَلُهُ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ**».

فدلّنا ذلك على أن هذا القرآن العظيم أثره نافعٌ حتى في المنافقين، وإنّما ينفع بحســب الظاهر، ولا ينفع في الباطن كما بينّه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أما صــفات أهل القرآن التي من اتصف بها، وتحققت فيه فإنّ يكون على الحقيقة قد نال ذاك الفضل العظيم كله.

فإنّها صـفات متعددة، ولا يمكن حصـرها في مجلس ولا في مجلسـين، ولا في أكثر من ذلك.

وقد عُني العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى بتتبع هذه الصفات وسردها، وممّن جمع الصفات أو بعضها جمعها **أبو بكر الآجري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في كتاب له مطبوعٌ ومشهورٌ بعنوان: (أَخلاقُ حملةِ القرآنِ)، ولكنِّي سأتكلم عن بعض صفات أهل القرآن.

ولذا فإن **عنوان محاضــرة** هذه الليلة: (**مِنْ صِــفَاتِ أَهْلِ الْقُرْآن**)، ومن هذه تبعيضــية، **أي:** بعَض صفات أهل القرآن، سنذكرها اليوم وهذه الصفات -أيّها الإخوة- سنقسمها إلى **ثلاثة أقسام:**

۞ **أول هذه الصفات: صفاتٌ متعلقةٌ بتعامل حامل القرآن بالقرآن.**

۞ **والأمر الثاني: يتعلق بقلب حامل القرآن.**

۞ **والنوع الثالث: صـفاتٌ تتعلق بأعماله وجوارحه، وما يصـدر من لسـانه وسـائر أركانه.**

❀◊❀

فنبدأ بأول هذه الصفات وهي:

۞ الصّفات المتعلقة بحامل القرآن مع القرآن ۞

فإنّ صاحب القرآن له أنسٌ بهذا القرآن العظيم، وله غبطةٌ فيه عظيمة جدًا، ولذلك فإنّ له معه شأنًا عظيمًا، وأثرًا واضحًا بيّنًا. **فمن هذه الأمور:**

أنّ صاحب القرآن إذا استمع القرآن أرخى له سمعهُ، وأصغى له بقلبه، ولم يلهُ عنه، ولم يجعل القرآن يُتلى بجانبه من غير تأملٍ في معانيه، ولا استطراق سمعٍ له، وإنّما يُرخي سمعه بالكلية لهذا القرآن العظيم.

ولذلك ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في خبر الجنِّ المؤمنين الذين استمعوا القرآن ثم آمنوا بعد ذلك، أنّ النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، فعبّر الله جَلَّ وَعَلَا بقوله: ﴿ٱسْتَمَعَ﴾، بزيادة التّاء مما يدل على أن المؤمن إذا أراد أن يستمع القرآن، فإنّه يستمعه بإصغاء قلبٍ، وبقصدٍ لا كما يفعله كثيرٌ من الناس حينما يجعل القرآن يقرأ جانبه، ولا يعنى به وإنما يجعله صوتا يُردد بجانبه، فإنّه في هذه الحال ليس متصفًا بصفات أهل القرآن مع القرآن، الذين يستمعون القرآن هذه صفة من صفاتهم.

❧ ◊ ❧

الصفة الثانية من صفات أهل القرآن مع القرآن: أنّهم يقرأون القرآن دائمًا على كل أحوالهم ولذلك ذكر الله عَزَّوَجَلَّ نعتهم فقال: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]،

فالمؤمن بطبعه قارئٌ للقرآن على كل أحواله، ذاكرٌ لله جَلَّوَعَلَا بل إنّ من كثرة قراءته للقرآن، **ربّما شغله قراءة القرآن عن دعاء الطلبِ والمسائلةِ** وقد روى النّسائي من حديث عطية العوْفي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مُسَاءَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِي السَّائِلِينَ**».

ولذلك فإنّ صاحب القرآن حينما ينشغل بالقرآن عن دعاءٍ وعبادةٍ، **وهو**: دعاء الطلب. فينشغل بالقرآن عن دعاء الطلب، فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ يخلُفه خيرًا مما يطلبُ، لو طلب ولو سأل. وكذلك هو ينشغل بقراءة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ عن غيره من مشاغل الدنيا، ويأنس بهذا الكتاب أنسًا عظيمًا شديداً.

ووقد روّينا عند الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنّ اللهَ يُحِبُّ الحَالَّ المُرْتَحِلَ**». **قيل**: في معنى: (الحالِّ المرتحل) الذي يحبّه الله جَلَّوَعَلَا **أي**: الذي ما إن ينتهي من ختم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حتى يرجع إليه مرة أخرى، فيقرأه قراءةً كاملة فما إن ينتهي من قراءة سورة الناس إلّا ويبدأ بعد ذلك بقراءة الفاتحة ليختم مرة أخرى بعد ذلك.

ولكن ليعلم المسلم أن صاحب القرآن ليس بالغالي ولا بالجافي، فهو لا يختم القرآن

إلّا في ثلاث اتباعـًا لوصــية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حينما نهاه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ختم القرآن في أقل من ثلاث.

فإن ختم القرآن في أقل من ثلاث لأحوالٍ معينةٍ، أو أغراض محددةٍ، **قال أهل العلم**: «جاز مع الكراهة»، ذكر ذلك **أبو عبيدة القاسـم ابن سـلام** في كتاب (فضـائل القرآن) قال: «وعلى ذلك يحمل ما نقل عن عثمان وتميمٍ الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنّهما كانا يختمان القرآن في ليلة لا على سـبيل الديمومة، وإنّما في أحيانَ مخصـوصـةٍ، إمّا لفضـل زمانٍ، أفي حال اقبال على الله جَلَّ وَعَلَا أو غير ذلك».

فالمقصـود: أن المســلم إنّما يختم القرآن في أقلّ احواله في كل ثلاث، وفي المقابل لا تمر عليه أربعون ليلة إلا وختم القرآن على أكثر حال. ولذلك قال **القاضي أبو الحسين ابن القاضـي أبي يعلى ابن الفراء** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَى أنّه: «يكره بلا خلافٍ، أن يمرّ على المســلم أربعون ليلةً لا يختم فيها القرآن العزيز كاملا ان كان قادرا على القراءة».

ولذلك فإنّ المســلم ليس بالجافي ولا بالغالي، وليس بالتارك ولا بالمتعدي في هذا الكتاب العظيم.

۞

من صفات أهل القرآن مع القرآن وهي: الصفة الثالثة لهم:

أنهم يقرأون القرآن كما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ، يقرأونه طريًا كما أَقرأه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابهُ، وكما أقرأه أصحابه من بعدهم إلى زماننا.

ولذلك **قال أبو عبد الرحمن السُّلمي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ابن الصحابي الجليل وابن الصحابة -رضوان الله عليهم-: «قال حدّثني الذين كانوا يُقرِؤوننا القرآن من أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، **فدّل ذلك على**: أنّ هذا القرآن إنّما يؤخذ بالتّلقي، وإنّما يؤخذ بالمشافهة ليضبط المسلم هذه القراءة، ويُحسِنها تمام الإحسان.

ولذلك فإنّ هذا القرآن أخذه بالتلقي والمشافهة من الدّين **قال عبدالله بن المبارك** كما في مقدمة صحيح مسلم: «الإسناد من الدين فإن قيل عمّن بقي»، ولذلك فإن المسلم يُعنى بضبط هذا الكتاب العزيز كاملاً. **ومن ضبط كلام الله** عَزَّوَجَلَّ **العزيز أمور:**

۞ **الأمر الأوّل**: أن يحرص على أن يُخرِج الحروف بمخارج العرب لها، فينطقُ العين عينًا، وينطق القاف قافًا، وينطق الجيم جيمًا، وينطق الزايا زايًا، وينطق الغين غينًا وغير ذلك من الحروف؛ التي يكون لبعض الناس في ضبط مخرجها اختلافٌ وعدم دقة.

فضبط القرآن العظيم وإجادة قراءته تكون أولا: بضبط الحروف فيه هذا الأمر الأول.

۞ **الأمر الثاني**: يكون ذلك بضبط شكْله في رفع المرفوعِ، وينصبُ المنصوب، ويخفض المجرور وغير ذلك من الأمور.

وهذان الأمران هما: الأصل والأساس في ضبط القراءة وإتمامها، ولذلك جاء أنّ أبا

بكر الصـديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام في المسـلمين خطيباً وقال: «أيّها المسـلمون أعربُوا القرآن»، **ومعنى إعراب القرآن**: هو أن يُرفع المرفوع، ويخفض المجرور، وينصب المنصوب، وأن تُنطق الحروف نطقا صحيحا. وليس المراد بإعراب القرآن في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم- معرفة المبتدأ من الخبر، ولا الفعل من الفاعل. وإنّما المراد به ما ذكرت لكم قبل قليل.

إذن هذان الأمران واجبان حتمان لازمان فإن حاول المرء أن يحرص على ضبط ذلك. ولكن لسانه ما استقام له، وما استطاع أن يُعدل اعوجاجه فإنّه يُثاب مع ذلك فضلا من الله جَلَّ وَعَلَا، ولذلك صحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: **«الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ شَاقٌ عَلَيْهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ؛ أَجْرُ القِرَاءَةِ وَأَجْرُ المَشَقَّةِ»**. **والمراد بـ:** (أجر المشقة) أنّه حاول أن يقوِّم لسانه، وأن يصحح المعوّج من نطقه، ومع ذلك عجز عنه فحينئذٍ يؤجر أجرين. ولكن لا شكّ أن من قوّم لسانه، فإنّه يكون أعظم أجرًا عند الله عَزَّوَجَلَّ هذان أمران واجبان.

وأمّا **المندوب في ذلك فإنهم ذكروا**: أن المندوب منه أن **يتعلم المرء علم التجويد**، فإن علم التجويد مندوبٌ تعلمه.

وعلى التّحقيق من قوليْ أهل العلم أن: علم التجويد إنما نقل لنا بالتواتر، ذكر ذلك ابن الجزَري، إذ من أهل العلم كما نقل ابن النجار في (شرح الكوكب المنير) أن: «من أهل العلم من يقول: إن ما يتعلق بالأداء من المدود وغيرها من التجويد إنما هي أمور اجتهادية». ولكن نَقل عن ابن الجزري وغيره من محققي أهل العلم: أن نقل علم التجويد

إنما هو **توقيفيٌ**، فما دام توقيفيـًا، فإنّ تعلمه والقراءة به مندوبٌ إليه ولا شك.

فدلّ ذلك على أن المرء إن أراد أن تكمُل قراءته لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ فليقرأه بالتجويد هذا من؟ هذا هو غير الغالي ولا الجافي.

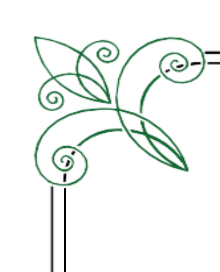
وأما الغالي في ضــبط القراءة الذي يحرص أو يتعمد أن يأتي بمخارج الحروف بتقعر فيها، أو أن يخرجها من مخارج متكلَّفة لا تعرفُ في لسان العرب، فإنّه مذموم ولا شك.

ولذلك فإَن كثيرًا من أهل العلم ومنهم **السَّـامُريُّ** في (المسـتوعَب) في وابن أبي موسـى الهاشـــمي في (الإرشـــاد) وغيرهم كثيرٌ. ذكروا أن كثيرًا ممن يتصـــدّر للإقراء قد يتقعر في مخرج بعض الحروف تقعرا شديدًا، ونهوا عن ذلك وبيّنوه في مواضعه من الكتب.

ومما ذكر أهل العلم وذموه أن يقرأ القرآن بالمقامات، وقد نقل ابن الناظم وهو ابن ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في شـــرح كتاب والده، عن أبيه أنه قال: «القراءة بالمقامات مكروه». وعنـد غيره من أهـل العلم نصــوا على حرمتـه، لأن المرء إذا قرأ القرآن بهـذه المقامات، فإن هذه المقامات إنّما هي مقامات غناء، وليست مقامـًا يعرفه العرب ويقرؤون به، فيتعمد هذه المقامات فيصـبح ف ذلك المرء منشـغلا بالمقام عن ضـبط القراءة، وعن التأمل في معانيها، والنظر في دلالاتها، بل أصـبح الناس ووجد ذلك كثيرًا في زماننا، وأصـبح يظهر ظاهرًا في بعض قنواتنا من يأتي للقارئ، فيقول: اقرأ بمقام فلانٍ، أو اقرأ بمقام السِّيكا، أو البياتي أو غيرها من المقامات. ولا شـك أن ذلك مذمومٌ، وقد ذمّه أهل العلم، ونبهوا له؛ ومن أوائل من ذمَّ ذلك وذكرهُ كما نقلت لكم **إمام هذا الفن وهو ابن الجزري**، كما نقله عنه ابنه في «شرح التحفة».

إذن: قضـــية أن القراءة هناك فيه غالٍ في القراءة، وهناك مفرطٌ فيها غير محســـن لها، والمؤمن حامل القرآن وسط بين هذين الأمرين.

ﮋ ♦ ﮊ



الأمر الرّابع: يتعلق بـ: علاقة وصفة حامل القرآن مع القرآن

أنّ صاحب القرآن لا يهذُّه هذًا،

وانما يتأمل في معانيه، وينظر فيه نظرًا كثيرًا،

ولذلك صـحّ عن ابن مسـعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لا تنثروا القرآن كنثر الدَقَلِ»؛ وهو التمر حينما يرمى على الأرض، «لا تنثروا القرآن كنثر الدَّقَلِ ولا تهذُّوه كهذِّ الشـعر، وإنّما اقرؤوه بتمهلٍ، فقفوا عند عجائبه، وحركّوا به القلوب، ولا يكونُ هم أحدكم آخرَ السورة».

وهذا واقعٌ من كثير من الناس فإنّما يكون همه عند قراءة القرآن؛ أن يختم السـورة، أو القرآن وليس الأمر كذلك. بل إنّ قارئ القرآن الذي يُثاب عليه كمال الثواب، ويعطى بقراءته تمام الأجر هو: الذي يقفُ عند عجائبه، ويتأمّل في معانيه، وينظر في دلالاته في التأمل والمعاني العظيمة، كما سيمرُّ معنا بعد قليلٍ.

٨٠◊٥٥



الأمر الأخير فيما يتعلق بهذا الأمر وهو:

صفاتُ صاحب القرآن مع القرآن

أنه معنيٌّ بحفظ بكلام الله جَلَّ وَعَلَا،

فإنّ المرء؛ صاحب القرآن حريصٌ على أن يحفظ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ما يسر الله له، وقد صحَّ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما في الصحيح أنه قال: «**لَئِنْ يَذْهَبَ أَحَدُكُمُ فَيَحْفَظَ سُورَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ سَمِنَتَيْنِ**»، وبيَّن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنّ الجوف إن كان فيه شيءٌ من القرآن، فإنّه يكون له من الحفظ، ويكون فيه من الخير، ويكون فيه من الفضل العظيم الشيء الكثير.

فالمؤمن حريصٌ على حفظ كلام الله عَزَّوَجَلَّ على أن يحفظ منه ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ له وما قدَر عليه.

بعد ذلك أيضا من الأمور المتعلقة بعلاقة صاحب القرآن بالقرآن:

أنّ صاحب القرآن لا يتكسَّبُ بالقرآن،

ولذلك **قال أهل العلم**: «أجمع أهل العلم من غير خلاف أنه لا يجوز أخذ الأجرةِ على قراءة القرآن، حتّى في الرقية، وإنّما يجوز أخذُ الجُعْلِ عليها». نقله الشيخ تقي الدين وغيره، ففي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما لُدغ سيد القوم وكبيرهم قال أبو سعيدٍ: «اجعلوا لنا جُعْلًا»، **ولم يقل**: اجعلوا لنا أجرةً، وهذا يدلنا على الأصل المتفق عليه بين أهل العلم أنه: لا يجوز للمسلم أن يأخذ أجرة على القرآن، وإنما يجوز له أُن يأخذ جعلا على الشفاء، أو أن يأخذ رَزقًا من بيت مال المسلمين، للإمامة بالمسلمين، أو تعليمهم وغير ذلك. إلّا في استثناءات محددةٍ ذكرها أهل العلم والاستثناء يذكر بعد ذكر الكليات.

فالمقصود من ذلك: أن صاحب القرآن يحرصُ كمال الحرص على ألّا يتكسّب بالقرآن شيئًا، وقد كان للأئمة الإقراء في ذلك أمرٌ عجيبٌ، وشأنٌ غريبٌ، فهذا إمام المقرئين في زمانه -ولا شك- وهو: أبو عبدالرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى نقل عنه ابن أبي خيثمة في (تاريخه) أن: «رجلًا أهداه قوسًا -والقوس قيمته قليلةٌ وليست بغالية فلما أعطاه إياه- قال: هلَّا أهديتني إيّاه قبل أن تقرأ عندي القرآن، فلا أقبل منك هذه الهديّة»، وجاء **رجلٌ للإمام حمزة الزيّات** أحد السّبعة الكبار وقال له: «أُريدك أن تشفع لي عند فلانٍ، ليحطَّ من دينٍ له عندي، فقال: أما وإنّ ذاك الرجلُ قد قرأ عليَّ القرآن، ومن قرأ عليَّ القرآن، فلا أطلبُ منه شيئًا»، ولذلك قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ينبغي لحامل القرآن ألّا تكون

له حاجةٌ إلّا لربِّه جَلَّ وَعَلَا».

فالمقصـود من هذا أنّ حامل القرآن على الحقيقة لا يتكسَّـب به، ولا يحرص على أنّ يكســب به مالًا، ولا جاهـًا، وكذلك كل صــاحب علم، وقد جاء أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى كان إذا دخل السّـوق يشـتري منه ويتبضـع، إذا عُرف في ذلك السُّـوق وعُرف اسـمه تركه، وانتقل إلى سوقٍ غيره، **قال**: «لا أشتري بديني شيئـًا».

৯♦ঙ

ومن صفات أهل القرآن -أيّها الإخوة - بعد ما يتعلق بصفاتهم مع لفظه، وما يتعلق بالاكتساب به، علاقتهم معاني هذا القرآن العظيم، فإنّ لأهل القرآن مع معاني القرآن العظيم شيئًا عظيمًا، فإنهم يعملون ويتعلمون مُحكمه،

وإذا جاءهم شيءٌ من متشابهِهِ وقفوا عنده وآمنوا به، وإذا جاءهم شيءٌ من عجائبهِ وقصصهِ تأملوا فيها ونظروا واعتبروا عندها.

ولذلك **قال أبو عبد الرحمن السلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «حدّثنا الذين كانوا يقرِؤوننا من صحابة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنّهم كانوا لا يجاوِزون عشر آيات من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حتّى يعلموا ما فيها من الحلال والحرام».

※ ◊ ※

إذن: المســلم -أيّها الاخوة- حريصٌ على أن يتعلّم ما في هذا القرآن العظيم، بيد أنّ هناك أمورًا لابدّ من التنبيه عليها وهي:

من صفات أهل القرآن مع علم القرآن

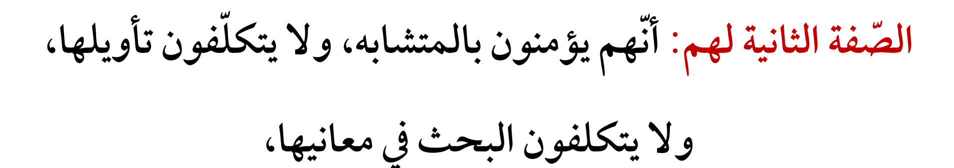
أول هذه الأمور: أنّ أهل القرآنِ على الحقيقةِ؛

هم الذين يتفقّهون في المحكم من القرآن كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]،

قالوا: والوقف هنا أنّه على الوصــل، أو على الوقف وهما: **قراءتان كلاهما ثابتان توقيفا**، كما تقرر معنا قبلُ أن: **الوقف والوصل محمولٌ على التوقيف لا على الاجتهاد.**

فالمقصود من هذا: أنّ أوّل صفات أهل القرآن مع العلم بالقرآن: أنّهم يحرصون على التّفقه في المحكم، ومن قلَّ تفقهُهُ في محكمٍ فإنما يكون مثله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، ولذلك جاء عن بعض الســلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنّهم ذمُّوا طالب العلم إن لم يعتني بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا كما جاء ذلك عن أبي الزِّناد وغيره هذه الصفة الأولى لهم.

❀◆❀



الصّفة الثانية لهم: أنّهم يؤمنون بالمتشابه، ولا يتكلّفون تأويلها، ولا يتكلفون البحث في معانيها،

ولذلك **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «القرآن على أربعةِ معانٍ: منه ما يعلمه كل أحدٍ - وذلك بلسانهم الذي يعرفونه-، ومنه ما لا يعرفه إلّا أهل العلم -كالأحكام وغيرها- ومنه ما لا يعرفُ إلّا بلسان العربِ، ومنه ما اختصَّ الله جَلَّ وَعَلَا بمعرفته». واختصّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بمعانيه فلم يطّلع عليه أحدٌ من النّاس على سبيل التفصيل، وإن كان من حيثُ المعنى الكلي والإجمالي فإن القرآن انما خاطبنا الله عَزَّ وَجَلَّ بمعانٍ معروفةٍ.

إذن فالمقصود من هذا: أنّ المرء إذا جاءه شيءٌ من المتشابه وقف عنده، ووَكَل أمره إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

وينبني على ذلك مسألة مهمةٌ وهي: أنّ المرء يحرصُ قدر استطاعته على ألا يفسر القرآن برأيه، وألَّا يجتهد فيه بظنِّه، ولذلك جاء في الأثر أنّ: «من قال في القرآن بظنه فقد أخطأ ولو أصاب»، فقد أخطأ ولو أصاب، وقد ضرب صحابةُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع الأمثلة في الوقوف عند ما جهلوه، فقد سُئل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخليفته عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن آية من كتاب الله جَلَّ وَعَلَا وهي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، ما الأبُّ هنا؟ فقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سئل عنها: «أي سماءٍ تظلُّني وأيُّ أرضٍ تقلُّني إن قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم»، ولمّا سئل عنها عمر بعد وفاة أبي بكر قال عمر: «ويحَ عمر وأبي عمر وأمّه إن قال في كتاب الله ما لا يعلم».

وفي زماننا هذا كلٌ أصبح يتكلم في كلام الله عَزَّوَجَلَّ ويقول فيه بظنه، ويتخرَّس فيه بحدسه وخاصةً فيما يتعلق في العلوم الإنسانية، بل وتعدُّوه للعلوم الطبيعية، وكلُّ ذلك خطره عظيم وقد جاء أن من قال في كلام الله عَزَّوَجَلَّ بظنه فقد أخطأ ولو أصاب، ومن فسر كلام الله عَزَّوَجَلَّ **فإنما يقول**: إن مراد الله عَزَّوَجَلَّ ذلك. وإذا علمنا أنّ من كذب على النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبوَّأ مقعده من النّار، فما ظنك بمن كذب على الله عَزَّوَجَلَّ في تفسير آية أو في تأويلها؟ ولذلك المسلم يحرص قدر استطاعته على أن يحتاط في هذا الباب، وأن يلتزم الورع والخشية فيه، وألَّا يتأول فيه إلّا بما يغلب على ظنّه، أو ينقله على عن غيره من باب الاتباع.

۞ **وهنا مسألةٌ مهمةٌ وهي: مسألة هل يمكن أّن يفسر القرآن أم لا؟**

نقول: نعم إنّ تفسير القرآن يمكنُ، إذ حمال لأوجه، كما قال **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وكم من معاني القرآن لم يظهرها الله عَزَّوَجَلَّ إلّا بعد قرون متأخرةٍ، كما ذكر ذلك الطُّوفي في كتاب (الإكسير)، فقد ذكر أنّ كثيرًا من المعاني البلاغية، والدلائل البيانية تظهر في زمان دون زمان، وهذا من أعظم إعجاز كلام الله جَلَّ وَعَلَا.

ولكن ليعلم المسلم أن **تفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ لابد له من قيدين اجماليين:**

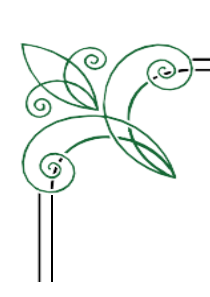
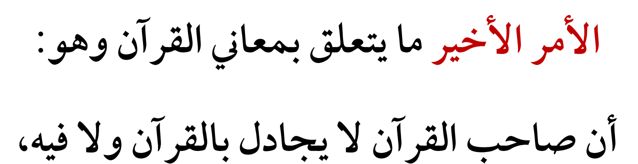
۞ **القيد الإجمالي الأول**: أنه لا يجوز أن يفسر كلام الله جَلَّ وَعَلَا بغير اللِّسان العربي، وما يحتمله لسان العرب ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وكم نسمع في هذا الزّمان من يفسر القرآن بمعانٍ لا يقبلها لسان العرب، ولا يستقيم على لغتهم وما ذلك إلّا مضاربةٌ للمعاني العظيمة في هذا الكتاب العظيم.

والقيد الثاني: أنّه لا يجوز تفسير القرآن بمعنى يصادم معنى في آية أخرى، أو يصادم معنًى كليًا في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا.

ولذلك ثبت من حديث عقبة ابن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الكِتَابِ** -يعني في القرآن- **يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ، وَمَنْ تَأَوَّلَ القُرْآنَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَقَدْ ضَلَّ وَأَضَلَّ غَيْرَهُ**».

إذن المقصود في هذا الباب -أيّها الإخوة- أن صاحب القرآن يُعنى بالقرآن من حيث المعاني من جهات: فهو ويعنى بالتفقه في محكمها، ويؤمن بمتشابهها، ويكِلُ إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يستعجل في تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا، إنّما يفسره بما نُقل وأُثر؛ بحيث لا يأتي بمعنى يضادُ معنًى كليا في الشريعة، ولا بمعنى لا يقبله لسان العرب ولا لغتها.

الأمر الأخير ما يتعلق بمعاني القرآن وهو:

أن صاحب القرآن لا يجادل بالقرآن ولا فيه،

ولذلك صحَّ عن **علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «من يقرأ القرآن ثلاثة أصنافٍ: رجلٌ يقرأه لله، ورجلٌ يقرأه للدُّنيا، ورجل يقرأه ليجادل فيه، ولكلٍّ واحدٍ من هؤلاء ما أراد من نصيبه».

فالمقصود من هذا كله: أنّ المجادلة في القرآن والمنُازعة فيه منهيٌ عنها. وقد صحّ عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَلَوْ كَانَ مُحِقًا**».

هذه الصّفات -أيّها الإخوة- التي ذكرتها قبل قليل؛ هي صفات أهل القرآن مع القرآن مع لفظه، وصفاتهم في عدم التكسّب به، وصفاتهم في معانيه والنظر في دلائله.

❀◈❀

النّوع الثاني من صفاتهم:

۞صفات قلوب أهل القرآن۞

إنّ لقلوب أهل القرآن شأنـًا عظيمـًا، فإنَّ لها أمراً مختلفا عن غيرها،

فإنَّ أَهْلَ القُرْآنِ إذا ذُكِّروا بالقرآن تذكّروا وإِذا وُعظوا بالقرآن إنزجروا،

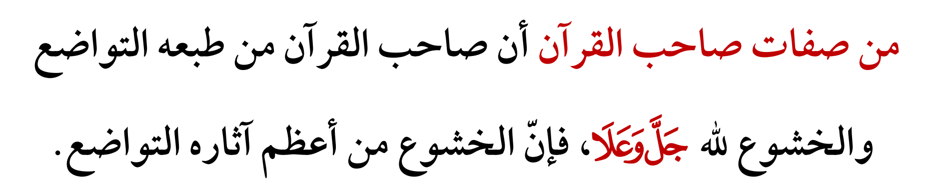
وإذا خوِّفوا بالقرآنِ خافوا، حاضروا الدّمعة،

رقيقوا القلب ليِّنوا الجانب كل هذه صفات صاحب القرآن على الحقيقة.

ولـذلـك ذكر الله جَلَّ وَعَلَا أنّ أصـــحـاب القرآن ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال **قتادةُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما ذكر هذه الآية قال: «هذا نعتُ أولياء الله في كتاب الله أنه تقشــعر قلوبهم وتدمع أعينهم لله جَلَّ وَعَلَا»، قال **قتادة**: «ولم يذكر الله عَزَّ وَجَلَّ من نعتهم أنّهم كانوا يصرخون، ولا أنّه كان يُغشى عليهم، وإنّما هذا نعت أهل البدع من الشيطان».

إذن: فقلوب المؤمنين تلين للقرآن، وتخاف إذا ذُكِّروا به تدمع أعينهم إذا مرّت عليهم آياتٌ من هذه الآيات العظيمة، وكذلك ســوء كل أفعال القلوب من هذا الباب، متعلقة بهذا القلب، إذ القلب هو مضغةٌ التي في البدن إذا صلحت صلح الجسد كلُّه.

۞



من صفات صاحب القرآن أن صاحب القرآن من طبعه التواضع والخشوع لله جَلَّ وَعَلَا، فإنّ الخشوع من أعظم آثاره التواضع.

ولذلك لما ذكر أبو بكر الآجريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى صفات أهل القرآن قال: «ويتواضعون لأهله، ولمن تعلّمه»، ولمّا ذكر صفاتَ الذين يتعلمون القرآن للدُّنيا قال: «ومن صفاتهم أنهم يتكبَّرون بعد قراءته على خلق الله، ولا يتواضعونَ فيه، ويحبُّنَ أن يتصدّروا وأن يعلوا على غيرهم».

إذن: هذه من أفعال القلوب التي يمتحن المسلم نفسه ولينظر، أهو من أهل القرآن على الحقيقة أم أنّه ليس كذلك.

ولذلك جاء عن **الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنّ: «المؤمن يختبر نفسه عند القرآن، فإن كان من أهل القرآن شكر الله عَزَّوَجَلَّ وحمده، وسأله الزيّادة، وإن كان على غير ذلك النعت فانه حينئذٍ يراجع نفسه، ويحاسبها قبل أن يحاسبه الله عَزَّوَجَلَّ عليها».

❖

الأمر الأخير من صفات أهل القرآن:

صفاتهم في أعمالهم وسلوكهم

وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دلِّه وخُلقه كلِّه على خلق القرآن، فقد صحَّ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها سُئلت عن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: «لِسَائِلِهَا أَلَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»، إِذَا أَرَدْتَ أن تعرفَ خلق حامل القرآن على الحقيقة فانظر في **أخلاق النّبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلُّ خلقٍ في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو خُلق حامل القرآن، وكلُّ خلقٍ ذمَّهُ النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركه، فإنّه خُلق الجافي عن القرآن؛ الذي وإن حفظ بعض آياته إلّا أنّه ليس من أهله. (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) فإذا أردت أن تفسر القرآن «أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْقُرآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، ولذلك لما قال الله جَلَّ وَعَلَا في صفات المؤمنين: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، **قال مجاهد ابن جبر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: «يتلونه حق تلاوته **أي**: يعملون به حق العمل».

إذن: فالمؤمن حامل القرآن من أعظم صفاته؛ بل هو من أجلِّ الصفات، وثمرةُ الصفات، العمل به في خلقه، العمل به في دلِّه، العمل به في عباداته مع الله جَلَّ وَعَلَا، ومع خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسنادٍ صحيحٍ عند ابن أبي شيبة وغيره أنّه قال: «يجب على حامل القرآن أن يعرف بليلهِ إذْ الناس نائمون، -فيكون قائمًا للّيل-، ويجب أن يُعرف بنهارهِ إذْ النّاسُ مفطرون، -فيكون صائمًا-، ويجب أن يُعرف بصمتِهِ إِذْ الناس يخوضون -إذا تكلّمَ الناس في الفتن، وخاضوا في المحن، وتكلّموا في أمور الدنيا عرفت أن صاحب القرآن صامتٌ-، ويعرف بورعه إذا الناس يخلطون»، إذا بدأ الناس يدخلون في ما فيه اشتباه بين حلال وحرام، ويأخذون من الأموال ما فيه شبهة ونحو

ذلك، يجب أن يُعرف صاحب القرآن بماذا؟ بورعه إذا النّاسُ يخلطون.

قال ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ويجب أن يعرف بتواضعه إذ الناس يختالون».

وهذه -كما ذكرت قبل قليل- من أعظم صفات حامل القرآن في قلبه؛ أن يكون متواضعًا لخلق الله جَلَّ وَعَلَا.

ولذلك -أيّها الإخوة- فإنّ علاقة صاحب القرآن في الخُلق -كما ذكرت قبل قليل- هي متعلقة: بعباداته كلها، وهي متعلقة أيضًا بخلقه وتعامله مع الآخرين حتى مع أهله، ليس صاحب القرآن الذي يتجمل عند النّاس بالخلق الحسن، فإذا دخل على أهله ساء خلقه وكان على خلاف ذلك.

ولذلك عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سُئلت عن خُلق رسول الله قالت: «**كَانَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَكُونُ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ، كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**»، فبينت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن خلقه بالقرآن في بيته وخارج بيته سواء، وأنّه كان في مهنةِ أهله، ويساعد أهله بألطف هذه الأمور.

وقبل أن أختم يجب أن نعرف -أيُّها الإخوة الأفاضل الأجلاء- أنّ هذه الصِّفات التي ذكرتُها وهي بعض من الصِّفات، إذْ كلُّ سُنّة النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته وأوامره؛ صفاتٌ لأهل القرآن.

أنّ هذه الصفات ميزانٌ، وهو ميزان قسطٍ وعدلٍ، يزن بها المرءُ أعماله فإن وجد أن أعماله، وأن قلبه، وأنّ علاقته بهذا القرآن كأمثال صفاتِ وأخلاق أهل القرآن فليحمد الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كانت بضد ذلك فليراجع نفسهُ، وقد ذكر الله في كتابه أنّ من صفات نفوس المؤمنين أن: نفوسهم لوامةٌ، تلومهم المرة بعد المرة، فهم يُراجعون أنفسهم ويحاسبونها

مرة بعد مرة، **يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: «رحم الله عبدًا عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله وسنةَ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمد الله وسأله الزّيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه -عاتب نفسه ولامها- ورجع عن قريب».

إذن: -أيّها الإخوة هذا كما ذكرت لكم- أنّ هذه الصفات ميزان عدلٍ وقسطٍ يجب على المرء أن يزن نفسه بها بين الفينةِ والأخرى.

وليعلم المسلم أنّه كلما تباعد الناس عن زمن النبوة، وكلّما طال الأمد عنها، كلّما كثُر الذين يقرأون القرآن ولا يكونون من أهله، ولا يريدون به وجه الله، عَزَّوَجَلَّ جاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «لقد أتى علينا حين وما نرى يقرأ القرآن إلَّا من يريد به وجه الله عَزَّوَجَلَّ، ثم بعد ذلك حدث ما حدث فأصبح يقرأُ القرآن من لا يريد به وجه الله».

وقال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لصاحبه: «إِن يطلْ بك الزّمن فسترى النّاس أصنافًا ثلاثةً في كتاب الله: من يقرأ القرآن لله، ومن يقرأ القرآن للدنيا، ومن يقرأ القرآن ليجادل فيه».

فبيّن عليٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنّه إذا طال الزّمان بالناس **فإنهم سينقسمون فيه ثلاثة أقسام**:

- صنفٌ لله،
- وصنف للدّنيا،
- وصنفٌ يقرأ القرآن ليجادل؛ ليماري به العلماء ويجادل به السّفهاء.

وقد جاء أثرٌ عظيم عجيبٌ وكأنه يتحدث بما نحن في زماننا، فقد جاء عند الدارمي بإسناد صحيح أن **معاذًا ابن جبل** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: «يُفتح القرآن على النّاس حتى يقرأه الرجل، والمرأة، والصبي كل يقرأ القرآن -وبهذا الزمان نجد الصبي لم يبلغ سنَّ التمييزِ وقد حفظ

القرآن كاملا وصـــدق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: - حتّى يتعلّم القرآن كلهم فيقول: الرّجلُ قد قرأت القرآن ولم أُتبع، لم يأتني أحدٌ ولم يأتني أحد لي يُقبِّل رأســي، أو يأتيني أحدٌ فيتبعني، ويسمع كلامي قد قرأتُ القرآن فلم اتبع، واللهِ لأُقومن به فلعلي أُتَّبع، فيقوم بالقرآن فلا يُتبع فيقول: قد قرأت القرآن فلم أُتّبع، وقمت به فلم اتبع، فلا آتينَّهم بحديثٍ لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه -قال معاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: فإيّاكم وما جاء به؛ فإنّه ضلالةٌ».

وهذا حقٌ فإنّ كثيرًا من النّاس ربّما يكون حافظا للقرآن، ربّما يكون مُجيدًا لتلاوته ولكن ليتّبعه النّاس ويمشــون خلفه جماعاتٍ ووحدانـًا، فإنّه بعد ذلك يُحدِث في دين الله عَزَّوَجَلَّ ويُحدِث لهم ما لم يسمعوه في شرع الله عَزَّوَجَلَّ، ويحدث لهم من غرائب الأمور من بين مُقلٍ ومستكثرٍ، **قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «فإيّاكم وما جاء به فإنّه ضلالةٌ».

-أيُّها الإخوة- أختم حديثي بأثرٍ عظيمٍ عن صحابيٍ جليلٍ، وهو: من قراء هذا القرآن، ومن حفظته **وهو**: أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنّه قال: «إنّ هذا القرآن كائنٌ لكم ذخرًا، وكائنٌ لكم وِزرًا»، فهو لبعض النّاس ذخرٌ، ولآخرين وزرٌ، والمعيار في ذلك هو ما وقر في نفســك، وما تحقق في جوارحك، وعلى لســانك، وســائر جوارح بدنك من العمل بهذا القرآن، وفعل صفات حملته.

اعلم أنّك إن امتثلت أمر الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الكتاب العظيم، فأنت موعودٌ على لســان رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيري الدنيا والآخرة: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، «**يُقَالُ لِقَارِئِ القُرْآنِ اقْرَأْ، وَرَتِّلْ -وفي رواية- وَارْقَى فِي الدَّرَجَاتِ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ فِي الجَنَّةِ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا**»، وَإِيَّاكَ أَنْ يكون هذا القرآن وزرًا عليكَ، وليس معنى

ما أقوله: أن يترُك المرءُ القرآن فإنّ هذا من جهله، وهذا من قلةِ عقله أن يترك المرء القرآن بحجة ذلك.

وإنما المقصود من ذلك كما **قال الحسن** أن يلوم المرء نفسهُ، وأن يراجع قلبه، وأن يعرض أعماله على القرآن والسُّنة؛ فإن وافقتها فليحمد الله عَزَّوَجَلَّ ويسأل المزيد، وإلّا فليراجع وليتبْ ولينبْ عن قريب.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يمنّ علينا جميعا بالهدى والتقى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولّانا بهداهُ، وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يرفع الضُّر عن المسلمين في كل مكان وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يصلح، وأن يحفظ وُلّاة أُمورنا وأن يوفقهم لكل خيرٍ، وأن يُصلح لهم بطانتهم وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يولِّي على المسلمين خيارهم، وأن يكفيَهم شرّ شرارهم، وأن يُؤمِنَنَا وسائر المسلمين في أوطانِنا، وأسألهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يغفر لوالدينا وأن يرحمهما، وأن يجزيهما خير ما جزى والدًا عن ولده، وان يغفر لنا تقصيرنا في حقِّهما، وأن يغفر لهما تقصيرهما في حقه جَلَّوَعَلَا، وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يشفي مريضهما، وأن يرفع الضُّر عنهما وأسأله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يشفيَ مرضانا ومرضى المسلمين، وأن يقضيَ الدَّين عن المَدينين، وأن يزيل الهمَّ والكرب عن المهمومين، وأن يكفينا شر الأعداء والمفسدين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



الأسئلة

السؤال: هناك بعض المقرئين ممّن يكون عاليَ الإسناد، فيشترط لإعطاء الإجازة مبالغَ طائلة. فهل تجوز استجازته؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، تكلّم أهل العلم عن أخذ الأُجرة على تعلم القرآن، **وقالوا**: «إن أخذ الأجرة على تعلم القرآن لا يجوزُ»، وحكوا الإجماع عليه، حكاه جمعٌ كثيرٌ من أهل العلم؛ لأنه من أعمال القُرب وأعمال القُرب لا يجوز أخذُ الأُجرة عليها.

وهذا الذي يأخذُ الأجرة على تعلم القرآن وتعليمه فلا أجر له عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد ثبت عند مسلمٍ من حديث **عبد الله ابن عمرو ابن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ يَغْزُونَ، فَيَغْنَمُونَ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ**». فدلَّ على أنّ الغنيمة مع إباحة الله عَزَّوَجَلَّ لها تُنقص الأجر الثلثين، فمن بابِ أولى من اشترط أُجرة ممنوعةً وإنّما استثنى بعض أهل العلم **صورة واحدةً وهو**: أخذ الأجرة لأجل تعليم الجاهلِ وقد ألَّف بعض مشايخ مشايخنا وهو **الشيخ محمد بن عزيز بن مانع** رسالة سمّاها (البرهان في جواز أخذ الأجرة على القرآن) **أي**: عند الحاجة.

فلو لم يقل بجوار أخذُ الأُجرة على القرآن بتعليم الجاهل، لما انتصب مدرسٌ للتعليم. ولكن المسلم الأصل أنّه لا يأخذ الأجرة وإن كان هناك رَزقٌ من بيتِ المال فهو الأولى والأحرى.

ومثلُ هذا الرّجل الذي يشترط مالًا ليجيز بالإسناد، قد فوت على نفسه أجرًا عظيمًا، وفوّت على نفسه تحصيل الخير العظيم لمن علم القرآن: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»،

ولا يشتري بهذا القرآن شيئًا.

السؤال: أحسن الله إليك وبارك فيك، شيخ هل يعد طلب الإجازة منه من إضاعة المال؛ يعني بإمكانه أن يأخذ الإجازة، وإن كانت نازلةَ الإسناد.

الجواب: نعم العلوُّ في الإسناد والنُّزول فيه، تكلّم علماء الحديث في الزّمان الأول أنّه من السُّنة، كذا قالوا. **أي**: أنّه من دأب علماء الحديث ولذلك ألّف فيه **محمد ابن طاهر القيصراني** جزءًا مطبوعًا سمّاه: (مسألة العلو والنزول)، وذكر آثار علماء الحديث في ذلك.

وتكلّم عنها **الخطيب البغدادي** في كتابه (الجامع لأصول الرّاوي والسّامع) عقد بابا ونقل فيه عن بعض الائمة العبارة التي قلتها قبل قليلٍ: «إنَّ طلب العلو من السنة»، **أي**: من طريقةِ أهل الحديثِ، وهذا العلوُّ، الذي كان يتكلم عنه علماء الحديث إنما كان حينما كان الحديث يروى بالأسانيد، وأمّا بعد القرن الرّابع الهجري، بعد ما دُوِّنت الدّواوين، وقد قيل: إنّ آخرَ من دون إمّا **الدارقطني** المتوفى سنة ثلاث مئة وخمسةٍ وثمانين، أو أنّه **أبو عبد الله الحاكم** المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري، **يعني**: في نهاية القرنِ الرّابع.

بعد ذلك لا يوجد كتاب من كتب الحديث إلّا وهو يروي عن طريق كتبٍ سابقة. فـ: **البيهقي** مع كثرة مصنفاته، وكثرة ما يرويه من أحاديث، كلُّ الأحاديث التي يرويها إنّما هي عن طريق كتبٍ وإجازة. **يعني**: كتب موجودة قبله فعلوُّ الإسناد والنُّزول فيها سواء، فأصبح العلوُّ في الإسناد والنزول بعد قرون الرّواية أصبح الفضلُ فيه من باب التشبّه فقط، وأمّا في الزمّان الأوّل له أثَرٌ في الحكم عل الإسنادِ، فإنّهُ معلومٌ أنّ الحديث إذا كان من ثلاثةٍ نسبةُ الصّحة فيه، وسهولة النظر فيه أسهل من قضية ضبط الأربعةِ، وهكذا بخلاف الرّواية عن

الكتبِ، فإنّ الضّبط فيه واحدٌ، هذا ما يتعلّقُ بمسألة كلام أهل العلم في قضيّة العلوِّ والنُّزولِ في الزّمان الأوّل.

ولكن لنعلم أنّه إذا كان طلبُ العلوِّ في الإسنادِ يجعلُ المرء يَنشغل بالمفضول على الفاضل، فإنّه مذمومٌ، ولذلك فإنّ **الإمام أحمد** لمّا ذهب مع **إسحاق بن راهُويَهْ**، فأدركا **الشّافعيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى، ذهب إسحاق بن راهُويَهْ يبحث عن الشّيوخ الأعلى إسنادًا يروي عنهم، أمّا أحمد فإنّه لزم الشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى وأخذ عنه الفقه، فلمّا اجتمعا -وكانا قرينينِ، ولم يكن بين وفاتهما إلاّ سنةً واحدةً- قال **إسحاق** لأحمد: «فوّتت فلانًا وفلانًا من أهل علوّ الإسناد» ، فقال **أحمد**: «الحديثُ إذا فاتكَ من عُلوٍ أدركته من نزولٍ، وأمّا إذا فاتك علمُ هذا الرّجل، فإنّك لا تدرِكُه». وصدق، فإنّ إسحاق بن راهُويَه ندم لعدم أخذه عن الشّافعي حتّى قيل -والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ-: «أنّه تزوّج امرأة لا لشيءٍ، إلاّ أنّ زوجها الذي مات عنها كان قد كتب كُتُب الشّافعي فتزوّجها لينظر في كتب الشّافعي التي ورثتها عن زوجها».

فدلّنا ذلك على أنّ الانشغال أحيانًا بالعلوِّ، هو انشغالٌ أحيانًا بالمفضول عن الفاضلِ.

وإنّما المقصود في القراءة: الضبط فقط، وليس المقصود في القراءةِ تتبعُ الأسانيدِ، وفي زماننا هذا ربّما كان الانشغال بالأسانيدِ وتتبُّعها من بابِ حظِّ النّفس، لأنّ المرء يجلسُ في المجالس ويقولُ قرأتُ على فلانٍ وفلانٍ من أعلى النّاسِ إسنادًا، ويقول: قرأتُ على فلانٍ ولم تقرأ عليه، وقرأتُ على عشرةٍ، وعشرين، وثلاثينَ. وبعضهم يقول: على ألفٍ، ولو قسمت زمانهُ ما أمكنه القراءةُ على هؤلاء، وأعرف هؤلاء النّاسِ، ولذلك هذا من باب

المفاخرةِ، وقد جاء عند **الدّارمي** -كما ذكرتُ لكم- أنّ من تعلّم علمـًا ليماري به العلماء، وليجادل به السّفهاء فهو حظُّهُ.

فكثيرٌ من هذه الأمور قد يكون فيها حظٌ للنّفس، ويجب على طالب العلم دائمـًا بالخصوصِ سواءً كانت عنايته: بالقرآن أو بغيره، يجب أن ينظر في قلبه داعي الإخلاص، يجب أن ينظر في قلبه داعي الخشوع، وقد صحّ عن ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنه ورُوِي مرفوعـًا إلى النّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنّه قال: «**إِنَّمَا العِلْمُ الخَشْيَةُ**»، فيجب أن يكون هذا العلم يزيدك خشيةً، لا يزيدكَ تكبُّرًا، ولا يزيدك ترفُّعـًا على النّاسِ، وإنّما يزيدكَ الخشية، وقد كان بعض مشايخنا رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَى يقولُ: «أقرأُ على الشّيخِ فإذا أرادَ أن يجيزني أقول: لا تجزني»، منهم من قرأَ على **الشّيخ أحمد مصطفى**، قال: «لا تجزني، لأنَّ الإجازة فيها حظٌ، وأنا أريدُ فقط أن أحسن القراءة»، الشّيخ **أحمد مصطفى** معروف من الأسانيد العالية، توفي -عليه رحمة الله- وكان عندنا قبل فترة.

ومن المشايخ من كان لا يجيزُ يقولُ: «المقصود من القراءة الضبط، وأما هذه ففيها حظ النّفس».

ولذلك المؤمنُ دائمـًا يراجع أفعال القلب وهي مهمّة، وهذه يغفل عنها كثيرٌ من طلبةِ العلم، وهي قضية أفعال القلوبِ، والله أعلم.

السؤال: أختٌ تودُّ أخذ إجازةٍ في القرآنِ، ووجدت مقرِأةً متقنةً، إلّا أنّها تعمل في مركزٍ يقومُ عليه بعضُ أهل البدع ويشترطون دفع مبلغٍ للمركز، فما حكمُ دفع المبلغ؟ وما نصيحتكم لهذه الأخت؟

الجواب: عندنا مسألتان يجب التّفريق بينهما، فرقٌ بين الأخذِ، وبين البذلِ، والأصل ما حَرُم أخذه، حرمَ بذلهُ، هذا هو الأصل. بيد أنّه عند الحاجةِ فإنّه يجوزُ البذلُ دون الأخذِ وبناءً على ذلك، فقد ذكروا أنّه: لا يجوز بيعُ المصحف، قال **الإمامُ أحمد في رواية عبد الله ابنه عنه**: «لا أعلم رخصةً فيبيع المُصحف»، وهذه من صيغِ الإجماع عند **الإمام أحمد،** **أي:** لا يُعرف عن الصّحابة، ولا تابعيهم، ولا تابعي تابعيهم أنّه يجوزُ بيعُ المصحف، فيحرم بيع المصحف، ولكن يجوز شراؤه عند الحاجة، من احتاج مصحفًا فلهُ أن يشتريه، كذلك الكلب يحرم بيعهُ، وقد ثبت عن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البخاري ثلاثةُ أحاديث في النّهي عن ثمن الكلب، ومن احتاج كلبًا، مأذونًا به؛ وهو: كلب الصّيد، أو الحرث والماشيةِ وهو ملحقٌ به فإنّه يجوز له شراؤه إن لم يجد، من يهبهُ، فدلَّ ذلك أنّه يفرِّق الفقهاء رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بين البيع والشّراء، فالأصلُ عندهم: أنّ ما حرم بيعه حرم شراؤه، وما حرم كراؤه حرم الاكتراء عليه، إلاّ عند الحاجة فإنّه يجوز حينذاك.

ففي هذه المسألة نقول: فإنّه لا يجوز -هذا الأصل- وإن كان المبلغ إنّما هو لجهةٍ خيريةٍ كمركز فقد يكون البذل من هذا الباب، **هذا من جهة.**

ومن جهةٍ أخرى إذا كان هناك من شخصٍ يبذُل العلم من أخذ مالٍ فإنّه أولى.

وعلماء الحديث كان بعضهم يترك المحدّث وقد روى بإسنادٍ عالٍ لا لشيءٍ، إلاّ لأنّه يطلب أجرةً على أخذ الحديث، مع أنّ من المحدّثين أجاز أخذ الأجرة، **قالوا أن:** الأجرة ليست على رواية الحديث، وإنّما الأجرةُ على أمرٍ آخر ذكروه، وهذا فيه تفصيلٌ بينهم، وتكلّم فيه **الرّامَهُرْمُزِيُّ** وغيره من أهل العلم، والإنسان إذا كان في غنى عن مواضع الشُّبهات

فل يتركها، وفي حديث النّعمان بن بشـــير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْـتَبِهَاتٌ، وَمَنْ اتَّقَى الشُّـبهَاتِ فَقَدْ اسْـتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِـهِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ**».

السؤال: هُناك من يشنِّع على السّلفِ بسبب تفسيرٍ لآياتٍ من القرآنِ يزعمونَ أنَّ العلم الحديث أثبت المراد الحقيقيَ من تلك الآية كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]**، فقد جاء عن بعض السَّــلف: «أنّ نقص الأرضِ بموتِ أهلِ العلمِ »، وبسببِ مثلِ هذا التّفسير يُشنِّعونَ على السّلف.**

الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين، عندنا هنا مســألةٌ مهمّةٌ وهي: قضــيّةُ ما يُســمّى **بالتّفسير العلمي لكلام الله** عَزَّوَجَلَّ، تكلم فيه عن هذه المسألةِ كثيرٌ من أهل العلم قبل زماننا؛ وممّن تكلّم عن هذه المسألةِ الإمام **أبو إسحاقَ الشّاطبي** المالكي الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى القرطبي، في كتابه العظيم: (الاعتصـام)، وألمح لبعض هذه المسـائل في (الموافقات)، فإنّ كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ القرآن أنزله الله عَزَّوَجَلَّ لبيانِ الأحكام «حُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ»، وبيانِ القصــص والخبر السّــابقة، وأنزله الله عَزَّوَجَلَّ ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وفيه بيانٌ وإعجازٌ، ولم يكنِ القُرآنُ نازِلًا ليُثبت حقائق علمية، **القُرآنُ لا يُعارِضُ الحقائق العلميّة، ولكنّه ليس مثبتًا لها**، انظر الفرق بين الثنتينِ.

فرقٌ بين إثباتِ الحقائق، ومعارضــةِ الحقائق، القرآن لا يعارض الحقائق كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالخلقُ كلُّ ما خلقه الله جَلَّ وَعَلَا، والأمر كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ القرآن، فلذلك الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، ولا يعارض أمره خلقه

أبدًا، ولذلك لا يعارض القرآن الحقائق العلمية ولكنّه ليس مثبتًا لها، يجبُ أن نعرف هذا الأمر.

وفائدةُ هذا الشّيء أمورٌ:

۞ **الأمر الأوّل**: أن المرء ربّما أتى بنظريّةٍ علمية وليست حقيقة، ومع ذلك يقول إنّ القرآن قد أثبتها، ثمّ يأتي بعد زمانٍ ما يدلُّ على فسادها، أو الشكِّ فيها، فحينئذ تصبحُ مكذِّبًا للقرآنِ وقد وُجد في زماننا هذا، وهذا كثيرٌ جدًا ولذلك يجب على المسلم أن يقف عند المعاني الأصلية التي تكلّم عنها العلم، ولذلك تكلّموا عن هذه المسألة قديما، بل جمهور أهل العلم والذين أشروا لهذا، ذكروه إشارةً من غير تقريرٍ له أنّ «القرآن ليس مثبتا لحقائق علمية، ولكنّه لا يعارض الحقائق».

عندنا هنا مسألة أخرى وهي مسألة التّفسير الإشاري؛ **التفسير الإشاري نوعان:**

- **تفسير إشاريٌ مذمومٌ**: وهذا الإبعاد بمعاني القرآن عن شيء بعيدٍ جدًا.
- وهناك تفسيرٌ إشاريٌ وَرَدَ عن السّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى، ومنه الآية التي ذكرها الأخُ الكريم، حينما استدّل بأنّ المراد بالقرآن هم العلماء، فهذا يسمى بالتّفسير الإشاري المذموم، ولأهل العلم قواعد في قبولِ التّفسير الإشاري، فليس مذمومـًا على الإطلاق، وليس مذمومـًا على الإطلاق، ومن أوائل من كتب -وإن كان ما كتبه ليس في المقبول ولكنّ بعض معانيه جيّدة- كتاب **أبي عبد الرّحمن السُّلمي ليس الإمام التّابعي** وإنّما المتأخر صاحب (**الطّبقات**) فله بعض النُّكث وفي كثيرٍ منها شطحاتٌ، وكثير ممّن تكلّم عنه: **الألوسي** في «المعاني الإشارية»، **الشّيخ تقيُّ الدين** له معانٍ إشاريةٌ كثيرة، **ابن القيّم**

له معانٍ وتكلّم عن قواعد المعاني الإشارية، ذكر وشروطها وقيودها.

فالمقصـــود أنّ هذا من المعاني الإشـــارية، ونحن نعلم أنّ القرآن حمّالُ أوجهٍ، ولكن بقيودٍ، فلا يقول المرء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يعلم، لذلك ليس لكلِّ أحد أن يتكلّم، يأتيني واحد في هذا الزّمان ويقول على ســبيل المثال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، المراد بدحاها: أنّ ها تمكون كهيئة البيضة، لأنّهُ في لغتنا العاميّة نسمي البيضة دِحْيَة.

نقول: ليس في لســان العرب تســميةُ البيضــة دحيةً، وإنّما في لهجتك الدّارجة، فلكي تستدل على أنّ هيئة الأرض على شكلٍ بيضاويٍ، وليس على شكل كرويٍ تستدل عليه بهذا المعنى البعيد الغريب، هذا من باب تنزيل القرآن فيما لم ينزل فيه، وهذا خطيرٌ، والكلام في هذا طويلٌ جدًا ومتفرّعٌ، والله أعلم.

مُحاضرةٌ أُلقِيَت

ضمن فعاليات محاضرات واحة الإيمان

سَنَةَ خمسٍ وثلاثينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بمدينة الشارقة

